Smile is Sunnah

الاِبْتِسَامَةُ مِنَ الأَخْلاَقِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الاِبْتِسَامَةَ مُحَبَّبَةً لِلنُّفُوسِ، وَطَرِيقًا لِلْقُلُوبِ، وَرِسَالَةً صَادِقَةً لِلْعُقُولِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَسُّمًا، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا**)[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ :« **تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»[2]. يَعْنِي إِظْهَارُكَ الْبَشَاشَةَ وَالْبِشْرَ لأَخِيكَ إِذَا لَقِيتَهُ تُؤْجَرُ عَلَيْهِ كَمَا تُؤْجَرُ عَلَى الصَّدَقَةِ[3]، فَلِقَاءُ النَّاسِ بِالتَّبَسُّمِ، وَطَلاَقَةِ الْوَجْهِ؛ مِنْ أَخْلاَقِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ جَالِبٌ لِلْمَوَدَّةِ، فَالاِبْتِسَامَةُ تَعْبِيرٌ عَنْ صَفَاءِ النَّفْسِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَجَمَالِ الرُّوحِ، وَهِيَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ، وَوَسِيلَةٌ لِنَشْرِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ؛ بِمَا تُحَقِّقُهُ لِصَاحِبِهَا مِنَ قَبُولٍ، وَهِيَ مِنْ هَدْيِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَقَدْ تَبَسَّمَ سَيِّدُنَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عِنْدَمَا سَمِعَ نَمْلَةً تُحَذِّرُ قَوْمَهَا مِنْ جَيْشِهِ، قَالَ تَعَالَى:(**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا**)[4].

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ρ دَائِمَ الْبِشْرِ وَالتَّبَسُّمِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ[5].

---

(1) الأحزاب : 70 .

(2) الترمذي : 1956.

(3) تحفة الأحوذي : 189/5.

(4) النمل : 18- 19.

(5) أحمد : 17704 ، الترمذي: 3641.

وَكَانَ ρ يَبْتَسِمُ إِظْهَارًا لِلِاسْتِبْشَارِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ρ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:« **أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**». فَقَرَأَ :(**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**) ثُمَّ قَالَ:« **أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**». فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:« **فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

وَلَمْ تَغِبْ الِابْتِسَامَةُ عَنْ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ ρ حَتَّى فِي آخِرِ لَحَظَاتِ حَيَاتِهِ، قَالَ سَيِّدُنَا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ –أَيْ يَوْمِ وَفَاتِهِ– وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، كَشَفَ النَّبِيُّ ρ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ[2].

فَلِمَاذَا يَبْتَسِمُ الإِنْسَانُ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟: يَبْتَسِمُ الإِنْسَانُ إِذَا كَانَ مُسْتَبْشِرًا مُتَفَائِلاً، رَاغِبًا فِي تَحْقِيقِ النَّجَاحِ وَالِارْتِقَاءِ، وَيُرِيدُ نَقْلَ مَشَاعِرِهِ لِلآخَرِينَ، وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ρ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا[3]. أَيْ فَمًا مُبْتَسِمًا[4].

فَالِابْتِسَامَةُ أَسْرَعُ رِسَالَةٍ تَمْلِكُ بِهَا قُلُوبَ النَّاسِ، وَأَصْدَقُ تَعْبِيرٍ يُقَرِّبُكَ مِنَ الآخَرِينَ، وَلَهَا تَأْثِيرُهَا الإِيجَابِيُّ فِي الْمُجْتَمَعِ، فَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ مُتَنَافِرَةٍ كَانَتِ الِابْتِسَامَةُ سَبَبًا فِي صَفَائِهَا، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ زَوْجِيَّةٍ مُتَكَدِّرَةٍ رَدَّتِ الِابْتِسَامَةُ إِلَيْهَا سَعَادَتَهَا، وَكَمْ مِنْ تِجَارَةٍ نَمَتْ وَكَثُرَتْ؛ لِطَلاَقَةِ وَجْهِ صَاحِبِهَا، وَالِابْتِسَامَةُ رِسَالَةُ حُبٍّ وَوُدٍّ، قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: إِذَا كُنْتَ مَعَ النَّاسِ فَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ التَّبَسُّمِ وَالْبَشَاشَةِ[5].

أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ: إِنَّ الِابْتِسَامَةَ تُكْسِبُ الثِّقَةَ, وَتُظْهِرُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَهِيَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي لاَ يُسْتَهَانُ بِهِ، قَالَ ρ :« **لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[6]. أَيْ بِطَلاَقَةِ الْوَجْهِ وَالبَشَاشَةِ، وَالِانْبِسَاطِ عِنْدَ اللِّقَاءِ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَلْقَى أَخَاهُ بِوَجْهٍ مُتَهَلِّلٍ مُشْرِقٍ مُبْتَهِجٍ؛ يَنْشَرِحُ صَدْرُهُ، وَتَزِيدُ لَهُ الْمَوَدَّةُ، وَإِنَّ الأُسْرَةَ الَّتِي تَتَعَامَلُ بِالْمَحَبَّةِ تَصْنَعُ الِابْتِسَامَةَ عَلَى وُجُوهِ أَبْنَائِهَا، وَتَحْرِصُ

(1) مسلم : 400.

(2) متفق عليه.

(3) مسلم : 1479.

(4) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (230/16).

(5) حلية الأولياء (48/7) ، والقائل هو سفيان الثوري.

(6) مسلم : 2626.

عَلَيْهَا، فَيَبْتَسِمُ الْمَرْءُ فِي وَجْهِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَجَدِّهِ وَجَدَّتِهِ، وَأُخْتِهِ وَأَخِيهِ، وَيَتَبَسَّمُ الرَّجُلُ فِي وَجْهِ زَوْجَتِهِ، وَالزَّوْجَةُ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا، فَتُصْبِحَ أُسْرَةً سَعِيدَةً، تُظَلِّلُهَا الْمَحَبَّةُ، وَيَسُودُهَا الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ.

وَقَدْ حَثَّنَا دِينُنَا عَلَى التَّبَسُّمِ وَطَلاَقَةِ الْوَجْهِ وَالْبِشْرِ عِنْدَ لِقَاءِ الآخَرِينَ، وَكَانَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ρ يُكْثِرُ التَّبَسُّمَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ لِيُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَيْهِمْ، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ρ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي[1].

فَيَتَبَسَّمُ الْمَرْءُ فِي وَجْهِ أَصْحَابِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَيلْقَى الْجَارُ جَارَهُ بِطَلاَقَةِ وَجْهٍ، وَالْمُوَظَّفُ يَبْتَسِمُ لِزُمَلاَئِهِ وَمُرَاجِعِيهِ، وَالْمُدِيرُ يَتَبَسَّمُ فِي وَجْهِ الْمُوَظَّفِينَ، وَالْمُعَلِّمُ مَعَ طُلاَّبِهِ، فَكَمْ مِنْ طَالِبٍ نَبَغَ وَبَلَغَ الْمَعَالِيَ، وَخَدَمَ وَطَنَهُ وَمُجْتَمَعَهُ بِسَبَبِ ابْتِسَامَةِ مُعَلِّمِهِ وَمُرَبِّيهِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْحَسَنَاتِ، وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُكْثِرُ الثَّوَابَ لِصَاحِبِهَا، وَتَرْفَعُ دَرَجَاتِهِ، وَتَزِيدُ التَّقَارُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَتَنْشُرُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالرَّاحَةَ وَالسَّكِينَةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى سُلُوكٍ حَضَارِيٍّ لِمُجْتَمَعٍ رَاقٍ، يَتَعَامَلُ بِنُفُوسٍ طَيِّبَةٍ، وَأَخْلاَقٍ عَالِيَةٍ، وَرُقِيٍّ فِي تَعَامُلِ الإِنْسَانِ مَعَ أَخِيهِ الإِنْسَانِ، فَقَدْ وَصَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ: هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى[2].

نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيْعًا لِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ρ وَطَاعَةِ مَنْ أَمَرَنَا بِطَاعَتِهِ، عَمَلاً بِقَوْلِهِ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**)[3].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ،

فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(1) متفق عليه .

(2) الترمذي : 2005.

(3) النساء: 59.

أَيُّها الْمُصَلُّونَ: إِنَّ الاِبْتِسَامَةَ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، وَأَكْرَمِ الأَخْلاَقِ، وَإِنَّ أَعْظَمَهَا أَجْرًا وَأَحَبَّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى النَّاسِ، وَتَرْتَسِمُ عَلَى وُجُوهِ الْعُمَّالِ وَالأَيْتَامِ وَالأَرَامِلِ وَالْمُحْتَاجِينَ؛ بِمَدِّ يَدِ الْعَوْنِ إِلَيْهِمْ، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِمْ.

فَهَلْ نَحْرِصُ عَلَى الاِبْتِسَامَةِ، وَنُؤَكِّدُ عَلَيْهَا مَعَ بَنَاتِنَا وَأَبْنَائِنَا؟

وَهَلْ نَنْقُلُ الاِبْتِسَامَةَ إِلَى الآخَرِينَ؟

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أُمِرْتُمْ بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى:(**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)[1]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ :« **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[2]. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ مَنَنْتَ عَلَيْنَا بِوَطَنِ التَّسَامُحِ وَالْمَحَبَّةِ؛ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ شِيمَتَنَا، وَالتَّسَامُحَ خُلُقَنَا. اللَّهُمَّ اجْعَلِ الإِمَارَاتِ بِلاَدَ عِلْمٍ وَحَضَارَةٍ، وَمَوْطِنَ بِنَاءٍ وَازْدِهَارٍ، وَنَظَافَةٍ وَجَمَالٍ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ، نَاطِقَةً بِشُكْرِكَ، مُحْسِنَةً إِلَى خَلْقِكَ.

اللَّهُمَّ انْشُرِ الاِسْتِقْرَارَ وَالسَّلاَمَ فِيَ الْعَالَمِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ لَنَا وَلِوَالدينَا، وَلِمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنَا، وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلاَ تَدَعْ فِيْنَا وَلاَ مَعَنَا شَقِيًّا وَلاَ مَحْرُومًا.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

عِبَادَ اللَّهِ:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)[3].

---

(1) الأحزاب : 56 .
(2) مسلم : 384.
(3) النحل : 90 .

اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكرُوهُ علَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ **(وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)**[1].

(1) العنكبوت : 45 .